المركز السوري
للعدالة والمساءلة

EAAF EQUIPO ARGENTINO DE ANTROPOLOGÍA FORENSE
Fundado en 1984

البحث عن المفقودين في شمال شرق سوريا

تقييم وتوصيات لفريق الاستجابة الأولية

البحث عن المفقودين

مقدمة 3

العمليات الجارية حالياً لاستخراج الجثث 4

برنامج تدريبي مع «كرييتف أسوشيتس» 5

التقييم وخطط المستقبل 6

الخلاصة 10

المركز السوري للعدالة والمساءلة

شباط ٢٠٢٠

يجوز نسخ مواد من هذا التقرير ألغراض التدريس أو البحث أو ألي أغراض أخرى غري تجارية، مع إسناد مناسب. وال يجوز استنساخ أي جزء من هذا التقرير بأي شكل من االشكال ألغراض تجارية دون الحصول عىل إذن رصيح من مالك حقوق الطبع والتوزيع.

هذا التقرير ممول من المنحة المقدمة من منظمة كرييتف أسوشيتس

فريق الاستجابة الأولية يقوم بإستخراج رفات جثة في الرقة. FRT ٢٠١٩

مقدمة

في أعقاب الهزيمة الإقليمية التي لحقت بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، اكتشفت جماعات مسلحة ومدنيون عشرات المقابر الجماعية في جميع أنحاء شمال شرق سوريا. وتم اكتشاف مئات الجثث الإضافية تحت الأنقاض التي خلفتها الضربات الجوية لقوات التحالف. وقد تركت هذه الرفات مجهولة الهوية آلاف الأسر دون معلومات عن مصير أحبائهم وفلذات أكبادهم. ومنذ بداية النزاع، كان الكشف عن مصير آلاف المفقودين أحد المطالب الرئيسية للسوريين؛ ومع ذلك، لم يتم إحراز سوى تقدم ضئيل على هذا الصعيد. وتوفّر الهزيمة الإقليمية لتنظيم داعش والاستقرار النسبي في شمال شرق سوريا فرصة فريدة لاكتشاف مصير الأشخاص المفقودين بالإضافة إلى جمع أدلة قيّمة على الجرائم التي ارتكبها تنظيم داعش. وإن احتمالية تعرّض مواقع المقابر والجثث للتلف، سواء بالعبث المتعمد أو التحلل الطبيعي، يجعل الوضع ملحّاً للغاية.

وأدركت المجالس المحلية في شمال شرق سوريا هذه الضرورة الملحّة وأنشأت فريق استجابة أولي لإجراء عمليات استخراج الجثث. وبينما يقوم هذا الفريق بعمل استثنائي في ظل ظروف بالغة الصعوبة، فإن لديه القليل من المعرفة الفنية حول كيفية حماية الجثث التي يتعامل معها من التلف وكيفية توثيق ما يجده بشكل مناسب لضمان الحفاظ عليه لجهود المساءلة المستقبلية والتعرف على الهوية. وبالإضافة إلى ذلك، وبسبب الوضع الأمني على أرض الواقع والنزوح الواسع للمدنيين من شمال شرق سوريا، كانت لدى عائلات المفقودين فرص محدودة للتعرف على عمل فريق الاستجابة الأولية أو تسجيل أحبائهم المفقودين. ويحتاج فريق الاستجابة الأولية إلى تدريب متخصص في استخراج الجثث، والتحقيقات في مجال الطب الشرعي، والتوثيق، والقدرة على الصمود من الناحية النفسية – الاجتماعية، ويجب دمج عمله في برنامج شامل يتضمن أيضاً توثيق المفقودين والتفاعل المباشر مع الأسر.

وفي خريف عام ٢٠١٩، حصل المركز السوري للعدالة والمساءلة على منحة صغيرة من مشروع «كريبتف أسوشيتس» لتيسير التعافي الحضري والعملية الانتقالية (FURAT) لتنفيذ برنامج تدريبي وتقييم لفريق الاستجابة الأولية. حيث قدّم المركز السوري للعدالة والمساءلة تدريبات في الطب الشرعي عن بُعد ودعم نفسي اجتماعي بالتعاون مع الفريق الأرجنتيني لأنثروبولوجيا الطب الشرعي (EAAF)، يشار إليه هنا «الفريق الأرجنتيني»، وهو منظمة للطب الشرعي تتمتع بخبرة تزيد عن ثلاثين عاماً في استخراج الجثث من المقابر الجماعية. وكان فريق الاستجابة الأولية متحمساً للجولة الأولى من التدريبات، ولكنه حدّد أيضاً احتياجات كبيرة ومحددة لمزيد من الدعم، بما في ذلك التدريب الفني الأكثر شمولاً، ويفضل أن يكون ذلك بشكل شخصي (وجهاً لوجه)، وكذلك الدعم النفسي الاجتماعي. وبالإضافة إلى هذه الاحتياجات المحددة ذاتياً، يوجد لدى المركز السوري للعدالة والمساءلة توصيات إضافية حول كيفية إعادة هيكلة فريق الاستجابة الأولية من أجل الاستفادة بشكل أفضل من التدريبات التقنية المستقبلية وبناء برنامج مكثف للدعم النفسي الاجتماعي. في أعقاب التقييم الأولي لمشروع (FURAT) حصل المركز السوري للعدالة والمساءلة على موارد طويلة الأجل من أجل مواصلة التعاون. مع فريق الاستجابة الأولية والفريق الأرجنتيني في إطلاق برنامج أكثر شمولاً للأشخاص المفقودين. وسيقوم هذا المشروع بتنفيذ التوصيات المذكورة أعلاه، بالإضافة إلى القيام بتوثيق بيانات ما قبل الوفاة وتقديم الدعم لبناء القدرات والدعم النفسي والاجتماعي لأسر المفقودين. وسيحتاج كل من المركز السوري للعدالة والمساءلة وفريق الاستجابة الأولية إلى دعم سياسي ومالي متنوع من أجل بناء البرنامج الشامل الضروري لبدء التعرف على هوية الضحايا.

العمليات الجارية حالياً لاستخراج الجثث

في مطلع عام ٢٠١٨، أنشأ المجلس المحلي في الرقة فريق الاستجابة الأولية من أجل استعادة الجثث التي تُركت بين الأنقاض في أعقاب الضربات الجوية للتحالف العالمي. وبعد ذلك بوقت قصير، توسعت أعماله لتشمل استخراج الجثث والرفات من المقابر، سواء تلك التي أنشأتها العائلات أثناء القصف الجوي أو تلك الناتجة عن جرائم داعش. وحتى الآن، تم استخراج الجثث والرفات من ٢٢ مقبرة جماعية في شمال شرق سوريا، تحتوي على ما مجموعه ٣,٧٠٠ جثة، مع وجود ما بين ١٣ إلى ٧٩٣ جثة في كل قبر. وتم انتشال ١,٩٠٠ جثة أخرى من تحت الأنقاض، أو الشوارع، أو مقابر مؤقتة التي أنشأتها العائلات أثناء القصف الجوي. وتم التعرف على هوية ٥٦١ جثة، ولكن الغالبية العظمى منها عثر عليها بين الأنقاض أو في المقابر التي أنشأها أفراد العائلة. وتبقى غالبية الرفات التي تم استخراجها من المقابر الجماعية مجهولة الهوية.

على الرغم من أن فريق الاستجابة الأولية يديره مجلس الرقة المدني لأغراض إدارية، إلا أنه أصبح الآن منظمة حيادية تعمل بشكل مستقل عن هيكل الحكم المحلي. واعتباراً من كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠، يوجد لدى فريق الاستجابة الأولية ٥٦ عاملاً في الرقة ودير الزور، بما في ذلك قائد فريق وطبيب. حيث تقوم العائلات والشهود وأفراد المجتمع الآخرون بالإبلاغ عن معرفتهم بوجود مقابر جماعية أو غيرها من الرفات البشرية إلى الفريق، الذي أنشأ نظاماً لاستخراج الجثث وإعادة دفنها. ويقوم فريق الاستجابة الأولية بمنح رقم تعريف فريد لكل جثة يتم استخراجها وتسجيل المعلومات الأساسية، بما في ذلك الجنس والعمر المقدر وسبب الوفاة الظاهر وتاريخ الاستخراج وموقع الاستخراج وقائمة بأية مقتنيات تم العثور عليها مع الجثة. ومنذ انضمام الطبيب إلى الفريق في نيسان/أبريل ٢٠١٩، تم أخذ بصيلة شعر وسن وقطعة من عظم الفخذ من كل جثة.

وفي بعض الحالات، يمكن التعرف على هوية الجثث بسهولة. ففي إحدى الحالات، استخرج الفريق جثة تحمل بطاقة هوية،[١] وفي حالات أخرى، طلب أفراد العائلة من الفريق استخراج رفات محددة الهوية من تحت الأنقاض أو مكان الدفن المؤقت الذي تم إنشاؤه أثناء الغارات الجوية للتحالف، عندما لم يكن الوصول إلى المقابر التقليدية ممكناً. وفي هذه الحالات، يعيد الفريق الجثة إلى العائلة، أو يُعيد دفن الجثة ويبلغ العائلة بموقع الدفن المحدد، إذا كانت العائلة تفضّل ذلك. وتفضّل بعض العائلات الخيار الأخير بسبب ارتفاع تكلفة الدفن.

> "حتى الآن ، تم استخراج ٢٢ مقبرة جماعية في شمال شرق سوريا ، تحتوي على ما مجموعه ٣٧٠٠ جثة"

وقام الفريق بإنشاء موقعين للدفن خارج المدينة لغرض إعادة دفن الجثث. حيث يتم دفن الجثث على التوازي على طول خندقين. ويتم تسجيل موقع كل جثة باستخدام رقم التعريف الفريد الخاص بها، مما يتيح ربط موقع الدفن بالمعلومات المسجلة أثناء عمليات استخراج الجثث والمقتنيات الشخصية التي تم العثور عليها، والعينات التي تم جمعها في موقع القبر. ويحتفظ الفريق بجدول بيانات إكسل لتخزين جميع الوثائق ذات الصلة.

وبالإضافة إلى عمليات استخراج الجثث، اضطلع فريق الاستجابة الأولية بدور في توثيق بيانات ما قبل الوفاة. واعتباراً من كانون الأول/ديسمبر، زارت حوالي ١,٧٠٠ عائلة مركز فريق الاستجابة الأولية في الرقة للبحث عن معلومات عن أحبائهم المفقودين. ويسجل موظفو فريق الاستجابة الأولية في المركز المعلومات التي تقدمها العائلات، كما يقدّمون صوراً للمقتنيات الشخصية التي تم العثور عليها (والتي يتم فهرستها وتخزينها بدلاً من إعادة دفنها) من أجل تسهيل عملية التعرّف على الهوية.

١ في حين قام فريق الاستجابة الأولية حتى تاريخه بالتعرف على الهوية بناء على بطاقات الهوية والمقتنيات الشخصية، إلا أن الممارسة الفضلى تشترط إجراء تحليل معمق في مجال الطب الشرعي في جميع هذه الحالات.

برنامج تدريبي مع «كريتيف أسوشيتس»

الفريق الأرجنتيني لأنثروبولوجيا الطب الشرعي (EAAF)، يصور فيديو تدريبي لفريق الاستجابة الأولية.

في خريف ٢٠١٩، حصل المركز السوري للعدالة والمساءلة على منحة صغيرة من مشروع (FURAT) لإجراء جولة مبدئية من التدريب في مجال الطب الشرعي والدعم النفسي الاجتماعي مع فريق الاستجابة الأولية، بالإضافة إلى تقييم الحاجة إلى مزيد من الدعم. وكان المركز السوري قد خطط في الأصل لتوفير تدريب شخصي (وجهاً لوجه)، على الأرض في الرقة؛ ولكن تم إلغاء الرحلة بعد أن أدى الانسحاب الجزئي للقوات الأمريكية في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٩ إلى تغيير الوضع الأمني وعقّد محاولات تأمين الوصول. وبدلاً من ذلك، قدّم المركز السوري الدعم عن بُعد عبر تدريبات مباشرة ومقاطع فيديو مسجلة مسبقاً. وبالتعاون مع الفريق الأرجنتيني، أجرى المركز السوري مقابلة تقييم قصيرة مع فريق الاستجابة الأولية، من أجل فهم أنواع المقابر والظروف التي يواجهها الفريق. وبناءً على هذه المعلومات، قدّم الفريق الأرجنتيني ثمانية مقاطع فيديو مخصصة، لفترة ٤٥ دقيقة، تغطي معلومات تمهيدية عن أنثروبولوجيا الطب الشرعي. وتضمّنت الموضوعات الأدوات اللازمة للتوثيق واستخراج الجثث، وكيفية استخدام الخرائط وأنظمة الملاحة عبر الأقمار الصناعية، وكيفية مسح مواقع المقابر ورسم خرائط لها، وكيفية نصب شبكة للحفر وتقنيات الحفر الأساسية، وكيفية التقاط الصور الفوتوغرافية للرفات، وكيفية إنشاء وإدارة قاعدة بيانات للتوثيق. كما عمل المركز السوري مع الفريق لتقييم احتياجاته من المعدات، وقدم مشروع (FURAT) الأموال اللازمة لتزويد معدات إضافية بناءً على نصيحة الفريق الأرجنتيني، بما في ذلك الكاميرات لتصوير مواقع المقابر وأجهزة تحديد الموقع الجغرافي (GPS) المحمولة باليد وأكياس إضافية للجثث.

وأجرى رئيس الفريق الأرجنتيني، لويس فونديبرايدر، أيضاً نقاشاً عن بُعد مع فريق الاستجابة الأولية عبر سكايب. وبدأت المكالمة بمقدّمة من الفريق الأرجنتيني، أوضح خلالها الرئيس كيف تطوّر مجال أنثروبولوجيا الطب الشرعي، وتاريخ برنامج الأشخاص المفقودين في الأرجنتين، وبعض القواعد الأساسية لأنثروبولوجيا الطب الشرعي التي يجب أن يسترشد بها عمل الفريق. وتبع ذلك نقاشاً مرتجلاً بين فريق الاستجابة الأولية والفريق الأرجنتيني، طرح خلاله فريق الاستجابة الأولية أسئلة متابعة حول مقاطع الفيديو التدريبية، وتمكّن الفريق الأرجنتيني من الحصول على صورة أوضح لمنهجيات فريق الاستجابة الأولية وممارساته.

كما تعاقد المركز السوري مع أخصائية علاج نفسي تتمتع بخبرة واسعة في تقديم الرعاية للموظفين العاملين في المجال الإنساني وحقوق الإنسان. وأجرت الأخصائية استطلاعاً لرعاية الموظفين وكذلك أربع مقابلات فردية بدون أسئلة محددة مسبقاً للتعرف على التحديات التي تواجه الموظفين، ثم صمّمت تدريبات مخصصة. وقامت الأخصائية النفسية بتقسيم المتدربين البالغ عددهم ٥٦ إلى أربع مجموعات، وتلقت كل مجموعة تدريباً لمدة ساعتين ونصف، تم فيه تغطية أعراض الصدمة الثانوية وكيفية استخدام آليات التكيّف المناسبة. وبحسب استطلاع أساسي لما قبل وبعد التدريب، فإن هناك زيادة قدرها ١٥٧٪ في معرفة الصدمة الثانوية بعد التدريب. وأشار الموظفون الذين شملهم الاستطلاع أنهم يخططون لاستخدام مهارات التكيّف التي تم تدريسها أثناء الدورة التدريبية. وأن التدريب كان يرفع معنوياتهم ويمنحهم شعوراً «بالثقة والسلام».

وفي حين أن هذه التدخلات كانت مجرد خطوة أولى في تلبية احتياجات فريق الاستجابة الأولية، فقد نجحت في تزويد المركز السوري والفريق الأرجنتيني ومشروع (FURAT) بصورة أوضح لهيكل فريق الاستجابة الأولية واحتياجاته، الأمر الذي سيؤدي إلى مزيد من التدخلات المستهدفة في المرحلة التالية من البرنامج. وبالإضافة إلى ذلك، بدأ المشروع في بناء علاقة عمل بين فريق الاستجابة الأولية والفريق الأرجنتيني، ورسّخ مفهوم الدعم النفسي والاجتماعي بين أفراد الفريق، مما ووفر خط أساس للمعرفة حول الصدمات الثانوية ومهارات التكيف المناسبة.

التقييم وخطط المستقبل

لقد أعجب رئيس الفريق الأرجنتيني بجهود فريق الاستجابة الأولية حتى تاريخه، ولاسيّما جهود التوثيق التي تم تنفيذها خلال العام الماضي، بعد انضمام طبيب إلى الفريق. حيث أشار فونديبرايدر أنه حتى بالمقارنة مع عمليات أخرى لاستخراج الجثث من مقابر جماعية، فإن الفريق يعمل في ظل ظروف صعبة للغاية. ومع ذلك، تحتاج عمليات الفريق إلى تحسين ومزيد من العمل الممنهج من خلال تدريبات موجهة.

وإن الخطوة الأكثر أهمية هي التأكد من أن فريق الاستجابة الأولية لا يجري عمليات استخراج الجثث بطريقة عشوائية، ولكن لديه خطة لتوجيه أعماله في استخراج الجثث. ويشير فونديبرايدر إلى العمل الجاري حالياً في استخراج الجثث في العراق على سبيل التحذير لما يمكن أن يحدث عندما يكون هناك تسرّع لفتح المقابر دون أي آلية تنسيق. وفي حين أن هذه الاستراتيجية قد تؤدي إلى فتح المقابر بسرعة، إلا أن قلة الاستعداد تبطئ من عمليات التعرّف على الهوية، وغالباً ما يجعل ذلك الأسر تشعر بالغضب وخيبة الأمل إزاء عملية لم يشاركوا فيها مطلقاً. وتعتمد هذه الأنواع من عمليات الاستخراج السريع للجثث أيضاً على الخبرة الخارجية، بدلاً من اغتنام الفرصة لتدريب السكان المحليين، الذين سيكونون قادرين على قيادة هذه العمليات، والتواصل بشأنها مع المجتمعات المحلية، بعد رحيل الخبراء الدوليين.

وسوف يساعد الفريق الأرجنتيني فريق الاستجابة الأولية على وضع خطة لاستخراج الجثث، مما سيسمح للفريق بتقييم قدراته الحالية وتحديد المقابر التي يجب أن يعطيها الأولوية وتلك التي يفضّل عدم فتحها في الوقت الحالي. ويأمل الفريق الأرجنتيني بعد ذلك في تقديم دورات تدريبية مستهدفة لمساعدة فريق الاستجابة الأولية على بناء قدراته الفنية. وفيما يلي قائمة ليست شاملة، ولكنها أمثلة على عدد من المجالات التي يأمل الفريق الأرجنتيني في العمل مع فريق الاستجابة الأولية لمنهجة عملياته وتحسينها.

جمع بيانات ما قبل الوفاة

تحديد الهوية الفعّال لا يعتمد فقط على التوثيق المأخوذة من المقابر فحسب، ولكن أيضاً على التوثيق المتعلق بالمفقودين الذي تم جمعه من العائلات والشهود (المعروف باسم توثيق بيانات ما قبل الوفاة). حيث يقوم فريق الاستجابة الأولية حالياً بجمع هذا التوثيق من العائلات التي تتواصل مع مركزه في الرقة، ولكن الفريق ذكر أنه يحتاج إلى مزيد من التدريب حول هذا الموضوع. ويستطيع الفريق الأرجنتيني العمل مع الفريق لاعتماد استمارات توثيق معيارية وتدريب الفريق على كيفية مساعدة العائلات على فهم عملية التعرّف على الهوية وإدارة التوقعات بشكل مناسب.

تم تهجير العديد من العائلات من شمال شرق سوريا، ولا يمثّل أولئك الذين يبادرون بالتواصل مع مركز فريق الاستجابة الأولية في الرقة سوى نسبة مئوية صغيرة فقط من السكان. وخطّط المركز السوري للتعاون مع فريق الاستجابة الأولية ومنصة جواب (Jawab) (التي نناقشها أدناه) من أجل ربط العائلات الموجودة بالخارج بالعمل الجاري على أرض الواقع والسماح لهم بالإبلاغ عن أحبائهم المفقودين. وتلقّى المركز السوري أيضاً أموالاً لجمع التوثيق مباشرة خارج سوريا، والذي سيتم دمجه بعد ذلك مع البيانات التي جمعها فريق الاستجابة الأولية.

إدارة قاعدة البيانات

يستخدم فريق الاستجابة الأولية حالياً جدول بيانات «إكسل» لتخزين التوثيق الذي يجريه لما قبل الوفاة والتوثيق المتعلق بالمقابر. وفي حين أن هذا النظام كافٍ للحفظ والتخزين الأساسيين، فإن قاعدة بيانات ترابطية، تسمح بإجراء عمليات بحث معقدة عن بيانات الجثث المستخرجة وكذلك بيانات الأشخاص المفقودين، ستكون ضرورية لعمليات التعرّف الفعال على الهوية. وبمساعدة من الفريق الأرجنتيني، يقوم المركز السوري بتحديث قاعدة بياناته للسماح بتخزين بيانات الأشخاص المفقودين، وسوف يسمح بوصول فريق الاستجابة الأولية وموظفي التوثيق في المركز إلى هذه القاعدة، بحيث يمكن بشكل مباشر تحميل التوثيقات من بيانات المقابر وبيانات ما قبل الوفاة، والحفاظ عليها بشكل آمن، وتحليلها معاً.

يقوم فريق الاستجابة الأولية بتسجيل معلومات من أحد القبور المستخرجة في محافظة الرقة، سوريا.

رسم خرائط المقابر

يقوم فريق الاستجابة الأولية حالياً بتتبع المقابر التي قام بفتحها وتحديد الجثث التي استخرجها من كل موقع، ولكن الفريق الأرجنتيني يرغب في رؤية عملية جمع لبيانات رسم خرائط أكثر دقة، بما في ذلك إحداثيات الموقع الجغرافي (GPS). وسيوفر المركز السوري للفريق تقنية تحديد الموقع الجغرافي في إطار مشروع (FURAT). وقد ركّز اثنان من مقاطع الفيديو التدريبية المقدّمة من الفريق الأرجنتيني على هذا الموضوع، ويخطط الفريق الأرجنتيني لتوفير مزيد من التدريب في المرحلة التالية من البرنامج.

توثيق عمليات استخراج الجثث

بينما يقوم أعضاء الفريق حالياً بجمع توثيقات أساسية حول الرّفات المستخرجة، إلا أنهم لا يوثقون عملية الاستخراج نفسها. ولم يتم التقاط صور لعمليات حفر المقابر إلا لأغراض إعلامية، ولم يتم التقاط صور للجثث. ويرغب الفريق الأرجنتيني في العمل مع الفريق حتى يلتقطوا صوراً و/أو مقاطع فيديو لعملية استخراج الجثث، ويسجلوا الموقع الدقيق للرفات والمقتنيات الشخصية المرتبطة بها في كل قبر. حيث يمكن لهذه الصور أن تسجّل معلومات مهمة حول الأسباب المحتملة للوفاة والتأكد من أن تحليل موقع المقبرة يمكن أن يستمر بعد إزالة الجثة وإعادة دفنها.

إعادة هيكلة الفريق

في حين أن الفريق الأرجنتيني قادر ومستعد لتقديم دورات تدريبية لمعالجة المخاوف المذكورة أعلاه، إلا أنه من الصعب القيام بذلك في السياق الحالي. حيث يتكون فريق الاستجابة الأولية حالياً من ٥٦ عضواً موزعين بين مدينتين، ومعظمهم لديهم نفس الوصف الوظيفي، ألا وهو فتح المقابر ونقل الجثث. ويوجد لدى أعضاء الفريق خلفيات ومستويات تعليمية مختلفة على نطاق واسع، بل حتى أن بعض أعضاء الفريق أميون ويحتاجون إلى دعم مكثف لفهم مواد تدريب الفريق الأرجنتيني. ومن المفهوم أن يشير أعضاء الفريق إلى أن بعض مقاطع الفيديو التدريبية الخاصة بالفريق الأرجنتيني كانت تقنية وصعبة الفهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن حجم الفريق الكبير يجعل من الصعب على جميع المتدربين المشاركة المباشرة في التدريبات مع الفريق الأرجنتيني.

ويعتقد المركز السوري أن هذه المخاوف يمكن معالجتها من خلال إعادة هيكلة فريق الاستجابة الأولية. حيث سيكون عمل فريق الاستجابة الأولية والتدريبات المستقبلية أكثر فعالية إذا تم تقسيم هذا الفريق إلى فرق فرعية متخصصة، كل فريق يرأسه قائد. ويمكن أن تشمل هذه الفِرَق الفرعية فرقاً لمقابلة العائلات وجمع بيانات ما قبل الوفاة، وإنشاء وإدارة قاعدة بيانات مركزية، وإجراء مسح لمواقع المقابر المحتملة أو لمناطق أخرى توجد فيها جثث، وتوثيق النتائج عبر

الصـور ومقاطـع الفيديـو، واسـتخراج وتوثيـق (باسـتخدام نمـاذج جمـع موحـدة) الرفـات والأدلـة المرتبطـة بهـا.

وبعـد إعـادة الهيكلـة، يمكـن أن يسـتمر الفريـق الأرجنتينـي في تقديـم التدريـب للفريـق بالكامـل، لضـمان أن يفهـم الجميـع أهميـة عملهـم وكيـف يمكـن أن يؤثـر عـلى التعـرّف عـلى الهويـة والعمليـات الجنائيـة في المسـتقبل. ومـع ذلـك، يمكـن توجيـه المزيـد مـن التدريبـات الفنيـة مبـاشرة إلى قـادة الفِـرَق، الذيـن سـيكون لديهـم المزيـد مـن الفـرص لطـرح الأسـئلة وتلقّـي توجيهـات معمّقـة مـن الفريـق الأرجنتينـي. وبعـد ذلـك، سـيكون قـادة الفِـرَق هـؤلاء مسـؤولين عـن ضـمان تنفيـذ مـا تعلمـوه وتعليمـه لأعضـاء الفِـرَق الفرعيـة المعنيـين. ومـن خـلال اسـتهداف هـذه التدريبـات التقنيـة لمجموعـات صغـيرة مـن المتدربـين، يمكـن أن يسـتضيف المركـز السـوري أيضـاً تدريبـات يحضرهـا فريـق الاسـتجابة الأوليـة بشـكل شـخصي في أربيـل، مـما يوفّـر لأعضـاء الفريـق فرصـة للعمـل بمعـدّات غـير متوفـرة داخـل سـوريا وتجنـب القيـود الحاليـة بشـأن الأمـن والتمويـل.

ستوفر "جواب" منصة عامة لأولئك الذين يبحثون عن أحبائهم المفقودين للمناصرة نيابة عنهم

العمل مع العائلات

إن أحـد أكـثر حـالات الفشـل في برامـج اسـتخراج الجثـث وبرامـج الأشـخاص المفقوديـن في المـاضي هـو الفصـل بـين أعـمال اسـتخراج الجثـث والعائـلات التـي تبحـث عـن أحبائهـا. عندمـا لا تكـون الأسر عـلى درايـة جيـدة بالعمـل المتعلـق بالأشـخاص المفقوديـن وتحدياتـه، يمكـن أن يكـون لديهـا توقعـات غـير واقعيـة فيـما يتعلق بعمليـات التعـرّف عـلى الهويـة، وسرعـان مـا يـؤدي ذلـك إلى إحبـاط وخيبـة أمـل. وعـلى مسـتوى عمـلي أكـثر، دون وصـول إلى العائـلات ومعرفتهـم عـن المفقوديـن، فـلا يمكـن التعـرّف عـلى الهويـة.

وبينـما يبـذل فريـق الاسـتجابة الأوليـة جهـوداً للتواصـل مـع العائـلات عـلى الأرض، فإنـه يحتـاج إلى مقاربـة منهجيـة تسـمح لجميـع العائـلات، داخـل سـوريا وخارجهـا، بالاتصـال بالمـشروع.

حيـث بـدأ عـدد مـن العائـلات في إنشـاء مجموعـات مناصرة تركّـز عـلى البحـث عـن أحبائهـا، وهـي مهتمـة بالتفاعـل مـع فريـق الاسـتجابة الأوليـة. وبـدلاً مـن مواءمـة هـذا المـشروع مـع مجموعـة محـددة مـن العائـلات، سـاعد المركـز السـوري للعدالـة والمسـاءلة إنشـاء المنصـة مـن أجـل «جـواب»، التـي توفـر بنـاء القـدرات في مجـال المنـاصرة لأفـراد العائلـة بغـض النظـر عـن انتماءاتهـم المحـددة. وسـتوفر «جـواب» منصـة عامـة لأولئـك الذيـن يبحثـون عـن أحبائهـم المفقوديـن للمنـاصرة نيابـة عنهـم، ولكنهـا سـتكون كذلـك بمثابـة شـبكة لنـشر المعلومـات حـول عمليـات اسـتخراج الجثـث المسـتمرة، بمـا يضمـن فهـم العائـلات لهـذه العمليـة وعكس أولوياتهـا في العمـل عـلى الأرض. ويخطـط المركـز السـوري أيضـاً لاسـتخدام شـبكة «جـواب» لمسـاعدة العائـلات في الإبـلاغ عـن المفقوديـن مبـاشرة إلى فريـق الاسـتجابة الأوليـة.

الدعم النفسي الاجتماعي

حتـى بالمقارنـة مـع غيرهـم مـن العاملين في المجـال الإنسـاني وحقوق الإنسـان، فـإن عمـل فريـق الاسـتجابة الأوليـة صعـب للغايـة وقـد تفاقـم بسـبب الصدمـة التـي تعـرّض لهـا أعضاء الفريـق أثنـاء النزاع. ومـن خـلال اسـتطلاع مـا قبـل التدريـب بالإضافـة إلى أربـع مقابـلات تـم اختيارهـا عشـوائياً، قـررت الأخصائيـة النفسـية في المركز السـوري أن غالبيـة أعضـاء فريـق الاسـتجابة الأوليـة تظهـر عليهـم أعـراض الإجهـاد والإنهـاك، وأن هنـاك ارتبـاط وثيـق بـين زيـادة سـنوات الخدمـة مـع فريـق الاسـتجابة الأوليـة وزيـادة هـذه الأعـراض.

ويـوصي المركـز السـوري بمواصلـة الجلسـات المنتظمـة للمجموعـات الصغـيرة لبنـاء آليـات تكيّـف للفِـرَق، والسـماح للموظفـين بالتعبـير عـن مشـاعرهم، وتعلّـم مناقشـة الضغوطـات التـي يتعرّضـون لهـا مـع بعضهـم البعـض. وأوصـت الأخصائيـة النفسـية عـلى وجـه التحديـد بجلسـات حـول كيفيـة التغلّـب عـلى العواطـف، والتأمـل، والعـلاج عـن طريـق الفـن. ويجـب أيضـاً توفير جلسـات عـلاج فرديـة لمسـاعدة الموظفـين عـلى معالجـة الذكريـات الصعبـة والصدمـات النفسـية ومناقشـة المشـكلات التـي قـد يشـعرون بالحـرج لذكرهـا في سـياق مجموعـات. وبسـبب وصمـة العـار المحتملـة لتلقـي العـلاج الفـردي، ينبغـي إلـزام جميـع الموظفـين بالمشـاركة في جلسـة عـلاج فرديـة واحـدة، مـع تحديـد جلسـات متابعـة عـلى أسـاس الاختيـار الفـردي.

وبالإضافـة إلى ذلـك، يـوصي المركـز السـوري بإجـراء تدريـب عـلى الإسـعافات الأوليـة النفسـية لجميـع الموظفـين، حتـى يتمكنـوا مـن

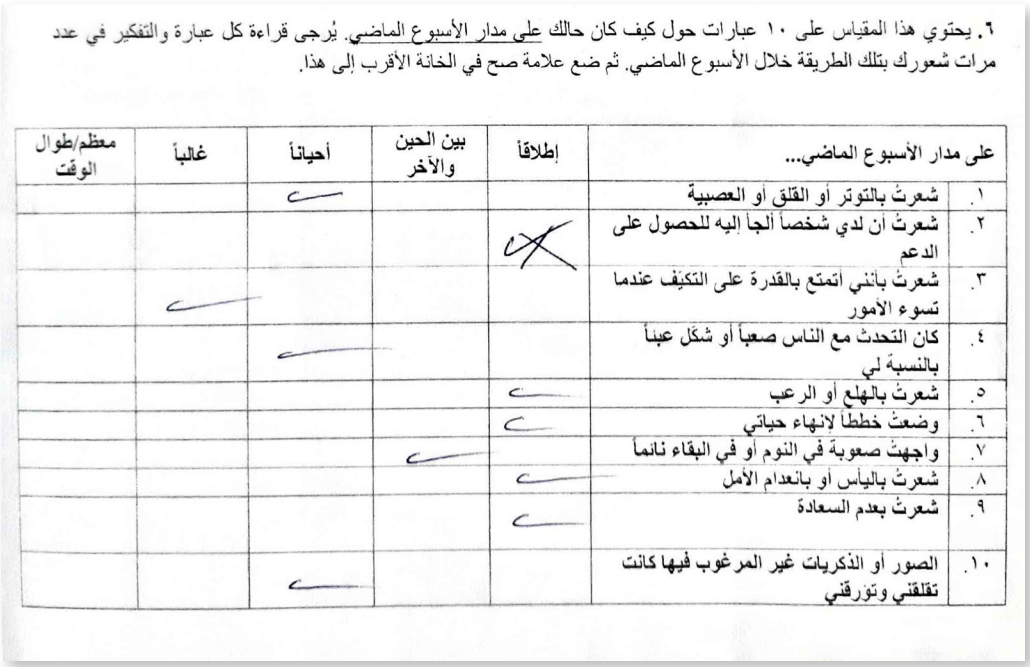

٦. يحتوي هذا المقياس على ١٠ عبارات حول كيف كان حالك على مدار الأسبوع الماضي. يُرجى قراءة كل عبارة والتفكير في عدد مرات شعورك بتلك الطريقة خلال الأسبوع الماضي. ثم ضع علامة صح في الخانة الأقرب إلى هذا.

	على مدار الأسبوع الماضي...	إطلاقاً	بين الحين والآخر	أحياناً	غالباً	معظم/طوال الوقت
١.	شعرتُ بالتوتر أو القلق أو العصبية			✓		
٢.	شعرتُ أن لدي شخصاً ألجأ إليه للحصول على الدعم	✗				
٣.	شعرتُ بأنني أتمتع بالقدرة على التكيف عندما تسوء الأمور				✓	
٤.	كان التحدث مع الناس صعباً أو شكل عبئاً بالنسبة لي			✓		
٥.	شعرتُ بالهلع أو الرعب	✓				
٦.	وضعتُ خططاً لانهاء حياتي	✓				
٧.	واجهتُ صعوبة في النوم أو في البقاء نائماً		✓			
٨.	شعرتُ باليأس أو بانعدام الأمل	✓				
٩.	شعرتُ بعدم السعادة	✓				
١٠.	الصور أو الذكريات غير المرغوب فيها كانت تقلقني وتؤرقني			✓		

الفريق الأرجنتيني لأنثروبولوجيا الطب الشرعي (EAAF)، يصور فيديو تدريبي لفريق الاستجابة الأولية.

قررت الأخصائية النفسية في المركز السوري للعدالة والمساءلة،أن غالبية أعضاء فريق الاستجابة الأولية تظهر عليهم أعراض التوتر والارهاق

التعامل مع حالات الطوارئ غير المتوقعة في الميدان. على سبيل المثال، أثناء جلسة مع الأخصائية النفسية، ناقش الموظفون حادثة أصيب فيها أحد أعضاء الفريق بجروح بانفجار لغم خلال عمل الفريق. ومن شأن الإسعافات الأولية النفسية أن تتيح للفريق معرفة كيفية دعم بعضهم البعض خلال مثل هذه الأزمات غير المتوقعة، ويمكن أيضاً استخدامها لمساعدة أفراد العائلات المنكوبين الذين قد يأتون إلى مواقع المقابر حيث يعمل فريق الاستجابة الأولية.

وحدد أعضاء فريق الاستجابة الأولية بأنفسهم عدداً من التدخلات المحددة حول استطلاعات ما بعد التدريب. وعلى وجه التحديد، يهتم أعضاء الفريق بالمشاركة في أنشطة ترفيهية خاصة ببناء الفريق معاً خارج إطار العمل. كما عبّروا عن اهتمامهم بالمشاركة في مزيد من التمارين البدنية. ويوصي المركز السوري بتشجيع الفريق على المشاركة معاً في نشاط بدني وترفيهي أسبوعياً، مثل لعبة كرة القدم، لمساعدتهم على التخلص من التوتر وبناء علاقات اجتماعية تُتيح لهم دعم بعضهم البعض بشكل أفضل أثناء عملهم.

وذكر أعضاء فريق الاستجابة الأولية أيضاً شعورهم بعدم اليقين حول وظيفتهم والهموم المالية من بين أعظم الضغوط النفسية التي يواجهونها. ومن شأن التزامات التمويل طويلة الأجل التي تم التعهد بها لفريق الاستجابة الأولية أن تسمح لأعضاء الفريق بالحصول على عقود طويلة الأجل.

وأخيراً، بينما يستطيع المركز السوري تنفيذ معظم هذه التدخلات عن بُعد، ينبغي تعيين أخصائي نفسي محلي لقيادة هذه الجهود إن أمكن. حيث سيكون العلاج الشخصي (وجهاً لوجه) أكثر فعالية، وسيكون الأخصائي النفسي المحلي هو لأفضل لفهم التحديات التي تواجه الفريق. ويجب دمج هذا الأخصائي النفسي في فريق الاستجابة الأولية، بحيث يفهم طبيعة عمل الفِرَق ويمكنه تقديم اقتراحات فعالة لمزيد من التدخلات.

الخلاصة

"إن حل قضية الأشخاص المفقودين وتحقيق مستوى من العدالة في هذه الحالات سيكون حجر الزاوية في مساعدة المجتمعات التي تعاني من داعش. لإعادة البناء والمصالحة"

حتى تاريخه، كان فريق الاستجابة الأولية يعمل بفعالية لجمع الرفات البشرية وإعادة دفنها، ويوثّق عمله بشكل دؤوب. ولكن من أجل السماح بعمليات التعرّف على الهوية في المستقبل، سيحتاج الفريق إلى إعادة هيكلة وتطوير قدراته في مجال الطب الشرعي التقني. ومن منظور تقني، يمكن تحقيق هذه التغييرات من خلال التعاون مع الفريق الأرجنتيني لأنثروبولوجيا الطب الشرعي، ومع ذلك تظل هناك تحديات خطيرة، بما في ذلك استمرار عدم اليقين فيما يتعلق بالتمويل. وفي الواقع، يشير أفراد فريق الاستجابة الأولية بأن عقودهم غير المتّسقة قصيرة الأجل هي أحد المصادر الأساسية لشعورهم بالتوتر النفسي. وإذا توقف الدعم المالي لفريق الاستجابة الأولية، فسيتوقف العمل وستتعرض إمكانية التعرّف على الهوية في المستقبل للتهديد.

ولا يمكن إنجاز مشاريع الأشخاص المفقودين على المدى القصير. وحتى يصل هذا المشروع إلى هدفه طويل الأجل المتمثل في التعرّف على هوية الرفات البشرية والسعي لتحقيق العدالة في الجرائم المرتكبة ضد المفقودين وعائلاتهم في شمال شرق سوريا، فسوف يحتاج إلى دعم سياسي ومالي مستمر من المجتمع الدولي على المدى الطويل. وعلى الرغم من التكاليف، فإن حل قضية الأشخاص المفقودين وتحقيق مستوى من العدالة في هذه القضايا سيكون حجر الزاوية في مساعدة المجتمعات التي عانت من تنظيم داعش على إعادة البناء والمصالحة. وبالإضافة إلى ذلك، سيقوم هذا البرنامج ببناء قدرات لا تقدّر بثمن في مجال الطب الشرعي داخل بلد سيواجه إرث عمليات القتل الجماعي والاختفاء القسري أبعد من جرائم داعش، لعقود قادمة.

المركز السوري للعدالة والمساءلة

المركـز السـوري للعدالـة والمسـاءلة منظمـة سـورية، غيـر ربحيـة متعـددة مصـادر الدعـم. يتطلّ ـع المركـز إلـى سـوريا ينعـم فيهـا النـاسّ بالعدالـة واحتـرام حقـوق اإلنسـان وسـيادة القانـون، حيـث يعيـش المواطنـون مـن جميـع مكونـات المجتمـع السـوري بسـام. ويعـزّ ز المركــز عمليــات العدالــة االنتقاليــة والمســاءلة فــي ســوريا مــن خــال جمــع وحفــظ الوثائــق، وتحليــل البيانــات وفهرســتها، وتشــجيع النقـاش العـام حـول العدالـة االنتقاليـة داخـل سـوريا وخارجهـا.